الجزائريون في السجون والمعتقلات والمحتشدات ومراكز التعذيب أثناء الثورة التحريرية

عبد القادر فكاير

جامعة خميس مليانة، fkairaek@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2017/07/21؛ تاريخ القبول: 2018/06/01

Abstract :

Since the occupation of Algeria, the French colonial administration has adopted various methods of repression and torture, and brought to Algeria experts in the methods of torture and interrogation. After the outbreak of the revolution, pursued its policy of diversification of repression and the participation of population methods in prisons and concentration camps and torture centers and detention centers, to eliminate the revolution, separated the popular support, and to prevent any assistance or contact or news of the population. This is why these centers scattered in various parts of the country has reached the number of camps set up by the colonial authorities across the national territory to more than 2,500 camps, which has housed nearly three million algerians. The colonial authorities exercised against them various types of physical and psychological torture. Prisons are mostly transit centers, for those who are arrested in most without judicial precedents and turning them into prisons. The detention centers its in two types, civilian is competent civilian, and military competent is competent to the mudjahidines who are arrested after the battles. Prisons are centers surrounded by walls, It is above the iron bars, fenced with barbed wire, Some of them electrified, Prisons were attributed during the revolution to the mudjahidines and Accused of belonging to the National Liberation Front, they were staying in rooms and cells according to their sentences. Despite the cruelty of these centers to the Algerians, the

revolution has transformed camps and detention centers and prisons into political training centers, forming cells and committees within them, and educating detainees, The inevitability of the revolution and the need to work on the cracking of French colonial programs. Emphasis was placed on education, political awareness, and to unify the ranks of detainees and prisoners.

الملخص:

اتبعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية منذ احتلال الجزائر مختلف أساليب القمع والتعذيب والتنكيل، وجلبت لأجل ذلك خبراء في فنون التنكيل والإستنطاق، وعقب اندلاع الثورة، استمرت في سياستها بتنويع أساليب القمع والزج بالسكان في السجون والمحتشدات ومراكز التعذيب والمعتقلات بهدف لقضاء على الثورة بفصلها عن الدعم الشعبي ومنع أية مساعدة أو اتصال أو أخبار من السكان . ولهذا كانت هذه المراكز منـتشرة في مختلف جهات الوطن، وقد وصل عدد المحتشدات التي أنشأتها السلطات الاستعمارية عبر التراب الوطني إلى أكثر من 2500 محتشدا، كانت تأوي ما يقارب من ثلاثة ملايين جزائري. وقد مارست سلطات الاحتلال في حقهم مختلف أنواع التعذيب الجسدي و النفسي. أما المعتقلات فكان أغلبها عبارة عن مراكز عبور للذين يتم اعتقالهم في الغالب دون سوابق قضائية وتحويلهم إلى السجون. وكانت على نوعين مدنية مختصة بالمدنيين وعسكرية خصصت للمجاهدين الذي يقبض عليهم بعد المعارك. وكانت السجون عبارة عن مراكز محاطة بجدران عليها قضبان حديدية مسيجة بأسلاك شائكة بعضها مكهربة، وقد خصصت السجون خلال الثورة للمجاهدين والأشخاص المتهمين

بانتمائهم لجبهة التحرير الوطني، كانوا يقيمون في غرف وزنزانات حسب الأحكام الصادرة في حقهم.ورغم قسوة هذه المراكز تجاه من كان فيها من الجزائريينإلا أن الثورة عرفت كيف تحول المحتشدات والمعتقلات والسجون إلى مراكز للتكوين السياسي بتأليف خلايا ولجان داخلها، وتوعية من كان فيها بحتمية الثورة وضرورة العمل على إفشال المخططات الاستعمارية الفرنسية. وكان التركيز على التعليم، والتوعية السياسية، وتوحيد الصف في صفوف المعتقلين والمسجونين.

الكلمات المفتاحية:

الإستعمار؛ الجزائر؛ فرنسا؛ المحتشد؛ المعتقلين؛ الثورة؛ التعذيب؛ السجن.

مقدمة:

استخدمت الإدارة الاستعمارية طوال احتلالها للجزائر وسائل متعددة من أجل تمكين نفسها في المستعمرة، التي يطلق عليها تعبير جرائم فرنسا في الجزائر، وكان أسلوب التعامل مع الجزائريين يختلف من فترة إلى أخرى حسب ردة فعل الجزائريين تجاه الاستعمار الفرنسي ومقاومته، خلال القرن التاسع عشر والعشرين حتى اندلاع الثورة التحريرية في عام 1954. وخلال مرحلة الثورة التحريرية دعمت الإدارة الاستعمارية أساليبها لقمع الثورة باستعمال السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب، وغيرها من المراكز الأخرى، التي تعد من بين أهم مظاهر جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر. وكان يساق إليها كل جزائري مشتبه فيه

على أنه منتمي الثورة أو متعاطف معها. وكانت الإدارة الاستعمارية تلجأ في كثير من الأحيان إلى القيام باعتقالات جماعية وزجهم في المعتقلات والمحتشدات التي تم استحداثها إثر امتلاء السجون. وقد انتشرت هذه المراكز في مختلف مناطق الجزائر، حتى داخل التراب الفرنسي. وإثر هذا العرض نطرح تساؤلات ليتم معالجتها في هذا البحث وهي: ما هي أنواع مراكز توقيف وحشد الجزائريين التي استعملتها فرنسا من أجل الحد من مسار الثورة. ما هي أساليب تعامل الإدارة الاستعمارية مع المعتقلين الجزائريين ، كيف تعاملت الثورة الجزائرية مع هذه السياسة الاستعمارية، ودورها في توجيه وتوعية الجزائريين في تلك المؤسسات العقابية.

1 ــ السجون والمعتقلات والمحتشدات ومراكز التعذيب:

1.1- السجون: تعد السجون إحدى المؤسسات العقابية التي استعملتها الإدارة الإستعمارية الفرنسية للنيل من السكان الجزائريين الرافضين لسياستها الإستعمارية في الجزائر، وقد تطورت السجون عبر سنوات الاحتلال إلى غاية سنة 1947 حيث أصبحت تابعة لوزارة العدل بباريس. ومع اندلاع الثورة التحريرية منح الحاكم العام صلاحيات أوسع لمواجهة الثورة، من بينها صدور مرسوم 17 مارس 1956 تم بموجبه إنشاء مراكز خاصة للحبس إلى جانب السجون الرسمية (بناجي، ج.ك. 2003: 21) . فالسجن حسب ما جاء في أحد التعاريف: «هومكاناعتقالالمحكومعليهبعقوبةسالبةللحرية » (نجار، إ وآخران 1991: 229). تتميز بنظام معماري خاص، ذات أسوار عالية، تعلوها

أسلاك شائكة، مبينة من الخرسانة المسلحة، أبوابها من صفائح حديدية سميكة. وعقب اندلاع الثورةالتحريريةسنة 1954 م،زجت الإدارة الإستعمارية بالكثير من الجزائريين في السجون التي كانت قائمة مثل سجن الحراش، و سجنسركاجي،وسجنلامبيز وغيره. ولما تزايد شأن الثورة، سعت الإدارة الإستعمارية إلى محاصرتها أنشأت عددا آخر من السجون في مختلف مناطق البلاد، وكانت هذه السياسة تهدف إلى إفشال الثورة، وقطع الصلة بين المجاهدين وعامة الشعب، لمنع وصول المساعداتونقل الأخبار إليهم, وللغرض نفسه زادت السلطات الاستعمارية في بناء عدد آخر من السجون تضاف إلى السجون السابقة،وبالتالي أصبحت أغلبية المدن الجزائرية لا تخلو من سجن واحد، بل أصبحت الجزائر كلها في سجن، على حد تعبير الكاتب الفرنسي جاك شاربي (JacuesCharby)، عندما ألف كتابا في سنة 1961 سماه (L'Algérie en prison). وقد اشتهرت بعض السجون بسوء معاملة السجانين للنزلاء. وكان الجزائري المتهم ضد فرنسا يمر بمراحل وهي الاعتقال، الاقتياد إلى مراكز الشرطة من أجل استنطاقه، يتعرض خلالها إلى مختلف أنواع التعذيب، ثم يعرض على المحكمة لتصدر في حكما، ثم يعود إلى مركز الشرطة ليعذب من جديد، بعدها يحول إلى السجن حيث يخضع إلى إجراءات هناك، ثم يوضع في الزنزانة.

ومن أشهر السجون في مدينة الجزائر سجن سركاجي، الذي تم بناؤه في سنة 1856 فوق حصن يعود تاريخه إلى العهد العثماني بأعالي قصبة الجزائر، وسمي بسجن بربروس. وزج في هذا السجنالكثير من المناضلين السياسيين للحركة الوطنية قبل اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954.

واشتهر السجن خلال الثورة التحريرية بعمليات الإعدام الـ 58 من بينها 48 بالمقصلة منهم أحمد زبانة الذي يعد أول من نفذ في حقه الإعدام بالمقصلة في 19 جوان 1956، وفرناند ايفتون (FernandIveton) الذي يعد المناضل الوحيد من أصول أوروبية ينفذ في حقه الحكم بالإعدام 11 فيفري 1957. وقبع في هذا السجن العديد من رموز الثورة التحريرية، نذكر منهم طالب عبد الرحمن، وعبان رمضان، وهنري علاق، وآني شتينرو، زهرة ظريف، وجميلة بوحيرد، وجميلة بوباشة، ورابح بيطاط، وبن يوسف بن خدة وغيرهم. وهناك سجون أخرى منها سجن الجراش، سجن لامبيز، سجن الكدية، سجن البليدة، سجن تازولت، وسجن البرواقية(1).-

1.2- المعتقلات : المعتقل هو كل مكان يجمع فيه السكان وتقيد حرياتهم فيه، يحشرون فيه بسبب حدوث فوضى أو وقع ثورة. ولا يتعرضون للمحاكمات. لكنهم يبقون فيه يعانون العذاب النفسي، ولا يخضعون للباس موحد. مرتبطة بوقوع الحروب والصراع بين الدول، ولما تنتهي الحروب تزول المعتقلات.(عزوي، م,ط.1987: 40).

كان تأسيسها من أجل التخفيف عن العبء الذي كانت تعيشه السجون، وفرض الحرمان من الحرية دون محاكمة وفق قانون حالة الطوارئ الذي صدر في 30 أفريل 1955. كانت في البداية تأوي السياسيين والمثقفين وكذلك الطلبة، وعندما انتشرت الثورة أصبحت تستقبل كل من كانت له علاقة بالثورة أو متعاطف معها. بدأت السلطات الاستعمارية في إنشاء المعتقلات منذ بداية الثورة، وإثر فرضها

لحالة الطوارئ، قامت باعتقالات جماعية في صفوف الجزائريين بهدف القبض على المسؤولين الذين أسعلوا الثورة. وفي 7 ماي 1955 تم تعيين الجنرال "جورج بارلانج" (Georges Parlange) (Jauffret, J.C.2 2001 :340) قائدا مدنيا وعسكريا على منطقة الأوراس النمامشة، التي كانت تنظر إليها الإدارة الإستعمارية معقلا للثوار. (Cornaton, M. 1967 :63). وكانت الولاية الثانية أكثر المناطق التي مستها هذه السياسة لكونها جبهة وجيش التحرير بها، ولهذا قررت القيادة الاستعمارية في ماي 1957 أن تكون القل وجيجل والميلية وبعض المناطق من سكيكدة مناطق محرمة.(ضيف الله، ع. 2013: 353).ومن أهم المعتقلات نذكر ما يلي:

معتقل الجرف: و يقع شرق مدينة المسيلة وهو متكون من عشرات الشقق وقد نقل إليه المعتقلون في أوائل شهر أوت 1955 بعدما أتلفت الأحوال الجوية الرديئة معتقل شلال.

معتقل بوسوي: وهو من أكبر المعتقلات وأعنفها في الجزائر يقع جنوب مدينة بلعباس وقد كان معتقلا للسياسيين الجزائريين في الحرب العالمية وقد فتح في 16 أوت 1955.

معتقل أفلو: وهو يقع في ولاية الأغواط أغلبية المعتقلين فيه كانوا من السياسيين والعسكريين وعلماء ومثقفين والمنتمين للأحزاب والهيئات السياسية الوطنية من مختلف التيارات. وقد أعتقل فيه من بين من اعتقلوا الشيخ البشير الإبراهيمي وعيسات إيدير والبشير بومعزة

وحسان حرشة، وعبد القادر الياجوري والنقابي محمد لزرق بن سيدي خالد، وغيرهم,

معتقل قصرالطير: يقع هذا المعتقل بالقرب من عين أولمان بولاية سطيف. وهو خاص بالمجاهدين، تم إنشاءه في ماي 1956 حيث تم تنصيب خيمة، وبعد عام أنشئ المعتقل بواسطة عدد من المسجونين جيء بهم من سطيف وباتنة، وعند نهايته في سنة 1957 كان المعتقل يتكون من 30 غرفة مقسمة إلى 9 أقسام مسماة بالأحرف اللاتينية (من A إلىI) تحتوي على مراقد وقاعات للتعذيب والأعمال الشاقة وغسل المخ. يتربع المعتقل على 10 هكتارات، محاطة بثلاثة حواجز، وفي نهاية عام 1959 بلغ عدد المعتقلين فيه 200 شخص. وقد اشتهر المعتقل ببشاعة معاملته للمعتقلين، حتى أنه سمي بـ: "معتقل الموت البطيء". فداخله كان مصيره إما الموت أو فقدان العقل. ويمكن تقسيم أنواع التعذيب إلى نوعين: التعذيب الجسدي، والتعذيب النفسي. وتعددت صور التعذيب الجسدي والنفسي. (عزوي، م,ط.1988: 30-34).

معتقل الدويرة: يقع في متيجة ، أنشئ في عام 1958، كان يودع فيه من خرج من المعتقلات والسجون والتحقوا من جديد بالثورة. وأغلب نازليه من ذوي الفكر. (عزوي، م,ط.1988: 38).

معتقل لودي: و يوجد غرب مدينة المدية ، أعدته السلطات الفرنسية في 1958 للشيوعيين بصفة خاصة والطلبة والنقابيين الجزائريين وبعض الشخصيات السياسية والإصلاحية. وكانت فرنسا

تشترط على الأوروبيين المعتقلين فيه لإطلاق سراحهم منه أن يتعهدوا بعدم تأييد الثورة في المستقبل كما تفرض عليهم الرحيل إلى فرنسا.

معتقل كامورا: يقع في واد قاحل يبعد بحوالي 3 كيلومترات عن مدينة قصر البخاري ويعرف بمعتقل الموت، فتحت أبوابه سنة 1958 وبقي إلى غاية 1961، كان يضم حوالي 2800 معتقل(2)، أين ذاقوا أبشع أنواع العذاب والتصفيات الجسدية السرية. (شيخي،ع. 1993: 23).

1.3- المحتشدات: يعرف عبد الحميد مهري المحتشد بأنه « مركزعسكريفرنسي،تكونإقامتهفيمواقعاستراتيجيه يختارها العدو وذلك بجلب السكان وإسكانهم بالقوة فيها لتشكيل حزام اواقي اللمراكز الفرنسية مقابل تدمير أراضيهم على الآخر خاصة مساكن الإيواء ومصادر العيش المتمثلة في المزارع » (مهري ،ع,1979: 83). تعود جذور المحتشدات في الجزائر خلال العهد الاستعماري الفرنسي إلى سنة 1844 حين شرعت الإدارة الاستعمارية في إحداث المكاتب العربية في عام 1844.ويتمثل أحد أهدافها الرئيسية في تجميع السكان واستقرارهم.ولا شك في أن إعادة تجميع السكان المنتشرين في العديد من القرى الصغيرة سهلت كثيرا عمليات تهدئة الأوضاع كما تذكرالسلطات الاستعمارية. ولكن هذا لم يكن السبب الأول، فقد كان الأمر في المقام الأول، كما قال الكابتن ريتشارد (Richard)، هو الاستيلاء على روح الشعب الجزائري بعد الاستيلاء على جسده، وفي خطوة ثانية الاستيلاء على ممتلكاتهم. (Cornaton, M. 1967 :43)

وبدأ ظهور المحتشدات بشكل واسع منذ بداية عهد ديغول في المنتصف 1958. فتم تهجير السكان من القرى والمداشر في المناطق الريفية، وجمعهم في محتشدات تحرسها قوات عسكرية، لمراقبتهم ومنعهم من الاتصال مع قوات جيش التحرير.فكانت المحتشدات تشكل آلة حرب لدى الإدارة الإستعمارية، تسعى إلى فصل جيش التحرير الوطني عن قاعدته الشعبية والدعم اللوجيستيوعزل المجاهدين عن الشعب، بهدف إضعاف الثورة. وتذكر بعض الإحصائيات أن عدد المحتشدات قد بلغ 1500 محتشد في سنة 1958. احتوت 750 ألف شخص، ارتفع عددهم إلى واحد مليون سنة 1959، ومليون ونصف في بداية عام 1960. وتضاعف عددهم فأصبح ثلاثة ملايين عند نهاية الثورة .(بوعزيز، ي. 1980: 392-393)وحسب بعض أحد المصادر الفرنسية، فإن عدد المحتشدين بلغ 460 ألف في ماي 1958، وارتفع عددهم إلى 1513000 شخص، وظل العدد في الارتفاع. (Paillat, C. 1961 :460).

وذكر شارل روبيرأجرون أن عدد التجمعات السكانية قد تجاوز 1342 في 1 أكتوبر 1959، ثم ارتفع عددها إلى 1679 مركز في جويلية 1960 بناء على تقرير السلطات المدنية، بينما السلطات العسكرية ذكرت أن عددها بلغ 2025مركزا، كانتتحتوي على 1513172 شخص. أما في 1 أكتوبر 1960 ذكرت السلطات المدنية أن عدد المراكز بلغ 2104مركزا. كانت تحتوي 1660514 شخص. بينما ذكرت السلطات العسكرية أن عدد المراكز بلغ 2202مركزا، كان فيها 1766055 شخص. ,Ageron(C.R. 2002 : 342).

أنشأت السلطات الاستعمارية أكثر من 2500 محتشد (بوعزيز، ي. 1980: 392) في مناطق مختلفة من التراب الجزائري، وتم إحاطة المحتشدات بالأسلاك الشائكة، ومراقبتها بوضع مراكز عسكرية مسلحة بالمدافع والمصفحات، وطائرات الاستكشاف. وأهم المناطق التي تم فيها ذلك، منطقة الأوراس، الشمال القسنطيني، منطقة القبائل، الونشريس، تلمسان، وغيرها من المناطق الأخرى. وكانت تنشر في أوساط السكان مناشير تدعوهم فيها إلى الالتحاق بالمحتشدات، حيث ورد في أحدها: « لقد دقت ساعة الاختيار، فإما أن تستجيبوا إلى فرنسا، وإما أن تؤيدوا الثوار، وفيما إذا اخترتم فرنسا فإن أمامكم ثمانية أيام فقط تلتحقون خلالها بالمخيمات التالية...وإلا فإن آلات رهيبة ستنصب عليكم...»(المجاهد، 15/ 2/ 1958). فكانت هذه الطريقة إحدى المآسي الكبرى التي مارستها فرنسا الاستعمارية ضد الشعب الجزائري من أجل القضاء على الثورة. وقد سلطت عليهم مختلف مظاهر القهر والبؤس والإهانة، والتحقير والتشريد. وكانت الإدارة الإستعمارية تلجأ في بعض الأحيان إلى التعامل مع البعض بالرأفة والعناية الصحية والغذائية لغرض استمالتهم واستعمالهم لمصالحهم.(بوعزيز، ي. 2012: 190).

1.4-مراكز التعذيب: أقام الاستعمار الفرنسي مراكز خاصة بالتعذيب، جلب إليها مختصون في فنون التعذيب، علما بأن عملية الاستنطاق والتعذيب أثناء الثورة كانت تمارس في كل مكان، فحيثما ألقي القبض على جزائري يستنطق ويعذب. وكانت كثير من مراكز التعذيب مجهزة بوسائل خاصة للاستنطاق والتعذيب، وفيما يلي ذكر لأهمها.

مركز التعذيب الترانزيت بسعيدة: وهي عبارة عن ثكنة، أنشئت خلال القرن 19، كانت مخصصة لوحدة عسكرية من اللفيف الأجنبي، تحتوي على مركزين للاستنطاق والتعذيب أحدهما مخصص للمجاهدين سياسيين وعسكريين، وخصص الثاني للمواطنين المعتقلين خلال الحملات التي كان يقوم بها الجيش الفرنسي. ويطلق على هذا المركز اسم"البودريار" (Poudrière) أي مكان تخزين الأسلحة.(بوشلاغم، ز. 1988: 40).

مركز التعذيب بالدمشية بدائرة سور الغزلان: كان مدرسة تم تحويلها إلى مركز للتعذيب في عام 1956، تتكون من غرف واسعة بنيت خصيصا للتدريس، وقاعات صغيرة مجاورة لها من مسكن المدير والمكتبة، وكانت تتوفر على غرفة واسعة في الطابق الأرضي عبارة عن دهليز كان يستعمل لوضع الأدوات الزائدة. (ماجن، ع.1988: 49).

مركز التعذيب حوشالوهراني بالكاليتوس:يقع في أحد مزارع المعمرين تحول في سنة 1957 إلى مركز التعذيب، جهز بالمدافع الثقيلة والدبابات والمصفحات والشاحنات العسكرية، تحتوي على خزانات للخمور خصصت لوضع المعتقلين. وشرق الخزانات توجد غرفة ضيقة تستعمل للعذاب، ومسبح كان يستعمل في فصل الشتاء للعذاب. (ماجن، ع.1988: 50).

مركز قندوزةبأقبو: يقع هذا المركز المعروف بـ (لادوف) في ضيعة أحد المعمرين قرب محطة القطار بأقبو، وتم إنشاء عدة غرف حول الضيعة، وأصبحت تحتوي على وسائل التعذيب، وتم حفر دهليز تحت

الأرض، وتمت إحاطته بثلاثة حواجز من الأسلاك الشائكة مكهربة، ووضع حوله عدة أبراج مراقبة، ونقاط تفتيش في الطرق المؤدية إليه. (وعلي، ع. 1988: 45).

وتوجد مراكز تعذيب أخرى توجد في عدة ، نذكر منهاالموجودة في مدينة الجزائر العاصمة وهي مركز فيلا سيزني، مركز القصبة، الكورنيش(ماجن، ع.1988: 34-41). مركز التعذيب بالمرادية. (ماجن، ع.1987: 34-35)

مركز قندوزة المعروف بـ "لادوف"(أقبو) (وعلي، ع. 1988: 45).

2ـــ تعامل الإدارة الفرنسية مع الجزائريين في تلك المراكز:لقد كانت تعامل الإدارة الاستعمارية مع الجزائريين المقبوض عليهم يختلف من مؤسسة إلى آخر ومع اختلاف الأشخاص الذي يشرفون على وقفهم ومراقبتهم وتسليط العقوبات ضدهم. ففي المعتقلات اختلف أسلوب التعامل مع المعتقلين باختلاف الضباط، ومع اختلاف قوة الثورة، وحسب طبيعة المعتقلين في ثباتهم ومستوياتهم الثقافية. فكانت تستقبل الوافدين الجدد في المعتقل بالشدة والغلظة والتهديد والوعيد حتى تزرع في نفوسهم الخوف، وتقوم بفرز المعتقلين لتوزيعهم على مراقد حسب الانتماء الإيديولوجي، شيوعيين، رجال علماء، سياسيين. وكان المعتقلون المثقفون يتولون تعليم الغير المتعلمين. ولما تولى غي مولي(Guy Mollet رئاسة الحكومة في أول فيفري 1956، تم إنشاء هيئة ضباط الشؤون الأهلية Section administrative(SAS)

spécialisée، التي تعتمد على الحرب النفسية، في القرى والمدن والمحتشدات والمعتقلات. غيرت الإدارة الإستعمارية نظام الحياة في المعتقلات، فمنعوا تدريس اللغة العربية، وكتابة الرسائل بها، ويعرض من خالف ذلك إلى التعذيب والدخول إلى الزنزانة. ومن صور الحرب النفسية التي تمارس ضد المعتقلين أن ضباط الشؤون الأهلية كانوا يعملون على فصل العلاقة بين المعتقل وزوجته خارج المعتقل عبر نقل أخبار كاذبة بين الزوج وزوجته.(عزوي، م.ط.1988: 52-53).

وكانت هذه الهيئة تعمل على تكوين العملاء من المعتقلين داخل المعتقلات والمحتشدات، وذلك باستدراج ضعاف النفوس الذين تعرضوا للتعذيب قبل الوصول إلى المعتقل، فيعمد الضابط إلى ترهيبهم إلى استعمال العذاب، فتنهار بعض النفوس الضعيفة وتقع في الفخ. فيعلنون أمامهم بأن من ينحاز إلى فرنسا يطلق سراحه ويرجع إلى عمله، ومن يختار جبهة التحرير الوطني يبقى رهين الإعتقال. فقد وقع في معتقل "بوسري" سنة 1957، إذ نودي على 96 معتقلا في مكبر الصوت وأمروا بالتوجه إلى الإدارة داخل الثكنة العسكرية. ولما خيروا بين الانحياز إلى فرنسا وجبهة التحرير الوطني، انحاز 20 إلى فرنسا وعاد 76 إلى المحتشد. وكانت هذه الهيئة تعمل على تحطيم الشخصيات السياسية داخل المعتقلات، ويتهم بالفرار من الثورة، فيصاب العقدة النفسية. (عزوي، م.ط.1988: 54)

لقد سلط الإستعماريون الفرنسيون في مركز التعذيب بالمناصرة(3) أساليب عديدة من التعذيب هي: حرق المعتقلين، إطلاق

الكلاب على المعتقلين، قبر المعتقلين أحياء، إجلاس الأسير فوق الزجاجة، التعذيب بالكهرباء ، الغطس في الماء. تعرية الإخوة مع أبيهم وتركهم لعدة أيام وهم عراة داخل غرفة واحدة. الإعتداء على النساء المتزوجات أمام أزواجهم. (ماجن، ع. 1988: 49).

أما في مركز التعذيب بسيدي مخلوف ولاية الأغواط، فكانت تسلط على المعتقلين أنواع العذاب التالية: وضع الكهرباء في الأماكن الحساسة، ملء البطن بالماء القذر والقفز فوقه حتى يخرج ممزوجا بالدم والفضلات من جميع المخارج، وتكرر العملية حتى الإغماء. (بري، ح. 1988: 51).

أما في سجن الكويف المركزي، الذي بني سنة 1930، وكان في الأصل مرقدا يأوي إليه السجناء بعد العمل في منجم الفوسفات، كان يتألف من رواقين واسعين للنوم بالإضافة إلى ساحة ومكاتب وقاعات للجنود الفرنسيين. وفي سنة 1952 استغنت الشركة الفرنسية عن خدمات المساجين، فأغلق السجن. أعيد فتحه في سنة 1955 إثر اندلاع الثورة التحريرية. وقد خصص لاستنطاق المسبلين والمجاهدين وغيرهم من الجزائريين الذين يلقى عليهم القبض في هذه المنطقة الحدودية مع تونس. وقد سلطت مختلف أنواع التعذيب على نزلائه من الجزائريين هي:

1ـ الضرب المبرح بشتى الوسائل، بالأيد والأرجل ، وهراوات وسلاسل، وسياط وغيرها.

2ـ التعذيب بالماء بغطس رأس المسجون في حوض من الماء لمدة طويلة. وملء البطن بالماء القذر والقفز فوقه حتى يخرج ممزوجا بالدم والفضلات من جميع المخارج.

3ـ التعذيب بالكهرباء، وذلك بوصل التيار الكهربائي إلى ألأعضاء الحساسة من الجسم كالأذنين، واللسان، وغيرها من أعضاء الجسم، حتى أن كثير من المحبوسين فقدوا الإحساس بأعضائهم.

4ـ إشراك الكلاب في التعذيب، بوضع السجين في غرفة وتطلق عليه الكلاب ، فتقوم بتمزيق ثيابه، ونهش جسده، ويرغمون السجين في بعض الأحيان على ترك الكلاب تطأه.

5ـ إجبار المساجين على المشي بأرجل حافية على المسامير، والنوم عراة على قطع الزجاج.

6ـ تعليق السجين مكبلا وجعل رأسه إلى الأسفل مثل الذبيحة لبعض الوقت، ثم يقطع الحبل ليقع على الأرض.

7ـ صلب السجين على ألواح أو أشجار بالمسامير حتى الموت.

8ـ إقامة زنزانات فردية تحت مراحيض الجنود، يدخلها المساجين المراد قتلهم، فتتساقط عليهم قاذورات الجنود حتى الموت.

9ـ إجلاس المساجين على أعناق القارورات.(العياشي، ع. 1988: 42). أما في مركز قندوزة الواقع بأقبو ولاية بجاية، فقد جرت فيه أنواع مختلفة من التعذيب هي:

1ـ إجبار الأسرى والمعتقلين على تحمل العلاقات الجنسية مع الكلاب المدربة على هذا الفعل.

2ـ تسليم الأسرى من المجاهدين إلى أعدائهم وخصومهم بعد التعذيب والتشويه ليعدموهم بالطريقة التي يريدونها. وقد بيع بعض الأسرى إلى غلاة القوم والحركية.

3ـ السلة الرهيبة: توضع السلة أمام الأسير خلال الاستنطاق، مملوءة بأجزاء من آدمية ضحايا المركز(4) ويقال له بماذا تتبرع لهذه السلة أيها الكلب.

4ـ إجبار الأسرى والمعتقلين على أكل عذرة الآدميين، وأكل الضفادع البرية السامة.

5ـ ربط الأسى بسيارة جيب وجره لمسافة 5 كلم إلى الوادي الكبير (تسفارت) ورميه مكتفا في الماء، وإن كان ماؤه قليلا يجهزون عليه ذبحا، إن بقي حيا.(وعلي، ع. 1988: 46).

3 ـــــ دور الثورة في هذه المؤسسات العقابية:

رغم وضعهم في السجون إلا هؤلاء المسجونين والمعتقلين، كانوا يعتبرون هذه الأماكن معاقل للكفاح والمواجهة، باعتبار أن هذا السلوك لا بد أن يلازم صاحبه في أي مكان، وفي أي موقع كان فيه، وفي أي وضعية كان فيها. ومواجهة الروح الانهزامية والركون إلى حالة الخضوع والاستسلام. رغم قيام الإدارة الإستعمارية بوضع قوانين استثنائية لهذه السجون لقمع الروح الوطنية وغسل الأدمغة، لانتزاع الأفكار

الإستقلالية من أذهان هؤلاء النزلاء. فكان السجين أو المعتقل لا يعتقد بأن مهمته في النضال قد توقفت بعد اعتقاله.

ومن داخل المحتشدات واصل المهجرون دعمهم للثورة، وذلك من خلال تنظيم أنفسهم في خلايا، وتولوا جمع الأموال، ونقل الأخبار، والأسلحة والذخائر، وتمكنوا من اختراق من كانوا متعاونين مع فرنسا، وتجنيد عملاء لهم«من القوات الفرنسية من الحركة والقوم، الذين جندوا للقيام بمهام المراقبة والحراسة في هذه المحتشدات، فأخذوا يزودون الثورة بالأخبار، والمعلومات عن تحركات القوات الفرنسية، وبالأدوية، والأغذية، والألبسة، والذخائر، والإشتراكات المالية». (بوعزيز، ي. 1980: 190).

لقد كان في المعتقل أو السجن تنظيم تابع لقيادة الثورة في المنطقة. وكانت المحتشدات هي الأخرى على صلة بالثورة عن طريق استمرار من كان بها يدفعون الاشتراكات.(مرتاض، ع. 2001: 14-15) كانت السلطات الإستعمارية بما كان لديها من أجهزة قمعية، وسن قوانين تعسفية، لا تفرق بين السجين والمعتقل، ولا بين السياسي والمجرم.

اشتهر سجن سركاجيبعمليات التضامن الواسعة بين المساجين من خلال عمليات الإضراب عن الطعام المتتالية و القضاء على حراس الحجرات التي كانت تعينهم الإدارة الفرنسية .

إن التنظيم الذي يتشكل داخل السجن أو المعتقل يكون خاضعا مباشرة لقيادة الثورة بالمنطقة، وهذا يعني أن النضال في السجن امتداد للنضال في خارجه. وأسوق في هذا الموضوع نموذج عن التنظيم الثوري

في السجون، النموذج هو سجن الحراش. يرويها المجاهد محمد الطيب العلوي. ذكر أن التنظيم في سجن الحراش يعود إلى سنة 1938على يد مصالي الحاج، ومفدي زكريا، وحسين لحول، وأحمد بودة. لقد أثبت رواد الحركة الوطنية وجودهم بتضامنهم، وبالإضرابات، والاحتجاجات، وأصدروا صحيفة "البرلمان الجزائري" التي صارت لسان حزب الشعب الجزائري. وقامت محاولات لتشكيل تنظيم سياسي في السجن. وبعد اندلاع الثورة في عام 1954 اضطر المساجين إلى تنظيم أنفسهم، وأول من بادر بهذه المهمة المجاهد الزبير بوعجاج، وتداول على المسؤولية في السجن رابح بيطاط، ثم محمد خميستي، ثم تقرر إسناد المسؤولية إلى لجنة بدل شخص واحد. فوقع الاختيار على محمد الطيب العلوي، محمد العيد الأشقر، عبد الحميد غراب، ثم انضم اللجنة ياسف سعدي. ثم أعيد تكوين لجنة أخرى تتألف من: محمد الطيب العلوي، محمد السعيد معزوزي، هاشم مالك. وظلت هذه اللجنة إلى الإستقلال.

وقد استعمل المسجونون أساليب عدة للدفاع عن أنفسهم منها:

1ـ الإضراب عن الطعام لمدة غير محددة.

2ـ نظم نزلاء سجن الحراش مظاهرة داخل السجن بناء على نداء صدر من الحكومة المؤقتة الجزائرية.

3ـ الامتناع عن الامتثال لأوامر إدارة السجن.

4ـ رفض التعامل مع إدارة السجن ومع الحراس.

5ـ تقديم احتجاجات مكتوبة إلى الجهات المسؤولة.

6ـ التشهير بالمعاملات القاسية عن طريق الصحافة في فرنسا أو في الخارج.

وكانت اهتمامات مسؤولي السجن تتمحور حول أمور عديدة نحددها فيما يلي:

1ـ الدفاع عن كرامة المساجين.

2ـ تنظيم حياة المساجين داخل السجن.

3ـ تمتين العلاقات بين المسجونين.

4ـ التغلب على الفراغ بملء الوقت بما يفيد السجين، وخاصة التعليم.

5ـ الإعلام وتوفير الخبر، من أجل متابعة تطورات القضية الجزائرية، والتصدي للسياسة الإعلامية المسمومة التي تقوم بها إدارة السجون.(العلوي، م. ط. 1987: 28-33).

الخاتمة:

إن ما يمكن استنتاجه من هذا البحث هو أن الاستعمار الفرنسي قد نوع من استحداث المؤسسات العقابية ضد الجزائريين وهي السجون والمعتقلات والمحتشدات ومراكز التعذيب. كما أنه عامل الجزائريون كأنهم مجرمين وخارجين عن القانون، عندما كان يزج بهم في السجون، بل مارس ضدهم سياسة التمييز العنصري عندما كانوا يجمعون في المعتقلات والمحتشدات. وكان الهدف من ذلك هو تطويعهم وإجبارهم على الرضوخ لإرادة الإستعمار، وزرع في أنفسهم روح الانهزام والتخلي عن المقاومة، وذلك بتسليط حرب نفسية باستعمال مختلف الوسائل. كما أن هذه السياسة كانت تستهدف السكان في المدن والأرياف بتحويل العديد من المباني إلى سجون ومعتقلات. وقد سلطت الإدارة الاستعمارية مختلف أنواع العقوبات الجسدية والنفسية، ابتداء من

الضرب المبرح إلى العديد من وسائل التعذيب مثل الكهرباء والكلاب وكل ما كان يؤذي النفس ويحط من كرامتها. غير أن جبهة التحرير الوطني ومن ورائها الشعب الجزائري عرفت كيف تتكيف مع هذه السياسة، عن طريق توعية السكان، ولم تنقطع الصلة بين خارج السجن ومن وقع أسيرا أو معتقلا لدى السلطات الإستعمارية، بل كانت تلك المؤسسات العقابية تعتبر معاقل للمواجهة والنضال، وهكذا كان النضال في السجن امتدادا للنضال في خارجه. ولقد ترتب عن هذه المعاملة تجاه الجزائريين ومختلف مظاهر التعذيب انعكاسات خطيرة ظل يعاني الكثير منهم استمر إلى ما بعد الاستقلال، من جراء ما أصبحوا يعانونه من أمراض فقدان الذاكرة، والإصابة بالأمراض العصبية والجنون، ومختلف الأمراض النفسية التي ظلت تلازم المعذب طول حياته، والإصابة بالعاهات الجسدية المستديمة.

الإحالات:

(1) أنظر: جارية كشير بن ناجي، السجون الإستعمارية بالجزائر... ، مذكور في قائمة المراجع.

(2) من مجاهدين ومدنيون،ومسبلين.

(3) تقع حاليا في دائرة حجوط ولاية تيبازة.

(4) مثل الأصابع، الآذان، الأنوف، الأسنان، وغيرها من القطع.

قائمة المراجع:

-ابراهيم نجار- أحمد زكي بدوي- يوسف شلالا، (1991) القاموسالقانونيفرنسي-عربي،طبعة 3 ،بيروت.

-بري، حواس (1988) ، مركز التعذيب بسيدي مخلوف، أول نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد.94-95، ص.51-52.

-بوطمين،الأخضر(1993)، المحتشدات الإجبارية بالولاية الثانية من 1959-1962، أول نوفمبر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد، 143، ص.16-17.

-بوعزيز،يحيى(2012) الثورة في الولاية الثالثة 1954-1962، لجزائر، دار الأمة، الجزائر.

-بوعزيز، يحيى (1980) ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الطبعة الأولى، قسنطينة، دار البعث للطباعة والنشر.

-بوشلاغم، الزبير (1988)، السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب وضحاياها، أول نوفمبر، العدد.94-95، ص.39-42.

-جارية كشير بناجي، (2003) السجون الاستعمارية بالجزائر مع دراسة نموذجية لسجن سركاجي (بربروس) اعتمادا على سجلات الإيداع (1954-1962)، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر.

- شيخي عبد الحميد (1993)، مراكز التجمع، أول نوفمبر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد143، صص.11-15.

-ضيف الله، عقيلة، (2013) التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، الجزائر، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.-

مهري،عبدالحميد(1979)الذكرىالخامسةوالعشروننوفمبركيفحررتالجزائ ر،الجزائر ،وزارةالإعلاموالثقافة.

-المعتقلات أثناء الثورة التحريرية الكبرى، أول نوفمبر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد. 87، صص. 41-43.

-عزوي، محمد الطاهر(1988)، المعتقلات في الجزائر ودور ضباط الشؤون الأهلية في الحرب النفسية داخل المعتقلات أثناء الثورة التحريرية الكبرى، أول نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد 90-91، مارس/ أفريل، ، ص. 52-54.

-العلوي، محمد الطيب(1987) ، نظام الجبهة داخل سجن الحراش: أول نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد.87 نوفمبر، ص.28-33.

-العياشي، علي (1988)، سجن الكويف المركزي، أول نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد.94-95، ص.42.

-ماجن، عبد القادر (1988)، السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب وضحاياها ، أول نوفمبر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد 90-91، ، صص.49-51.

-ماجن، عبد القادر (1988)، السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب وضحاياها ، أول نوفمبر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد 93-94، صص.49-51.

- ماجن، عبد القادر (1988) ، مركز التعذيب بالمناصر، أول نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد.94-95، صص. 48-49.

-المجاهد 15/ 2/ 1958، العدد 18.عن ضيف الله، عقيلة، (2013) التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، الجزائر، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.

-مرتاض، عبد المالك (2001) دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية.

-وعلي، عبد العزيز (1988)، مركز "قندوزة" الرهيب، أول نوفمبر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد. 94-95، جويلية-أوت 1988، صص. 45-47.

-Jauffret, Jean-Charles et Maurice Vaisse, (2001) Militaires et guérilladans la guerre d'Algérie, actes du colloque de Montpellier de 5 et 6 mai 2000, organisé par :lecentred'étudesd'histoire de la défense et L'UMR N°5609, Sociétéédiologies, défense du CNRS, Montpelier, éditionscomplexe.

-Cornaton, Michel,(1967) Les regroupements de la décolonisation en Algérie, Paris, Les éditions ouvrières.

-Paillat, Claude, (1961) Dossier secret de l'Algérie, 13 mai 58/28 avril 1961, Paris, Le livre contemporain.

-Ageron, Charles Robert,(2002) Une dimension de la guerre d'Algérie, les regroupements de populations, in Jean-Charles Jauffret et Maurice Vaisse, Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie, actes du colloque de Montpelier des 5 et 6 mars 2000 , organisé par le centre d'études d'histoire de la défense ,Brussels, pp.333-358.